رائد القصة اليمنية محمد عبد الولي ذاكرة للإبداع (2-2)

كتب/ فهمي غانم

إن هذا التطور الملموس حقق أهدافه من خلال الخروج عن المألوف والعادي وتزاحم تلك الصور والمشاهد والأفكار التي لم تعد صالحة للعصر الأدبي الجديد القائم على منهجية الفعل الأدبي على نحو يخلق حالات مستديمة من الألق والنشوة والصعود إلى مدارج الاضواء بخطى حقيقية ومحسوبه لكنها ناجحة..

(نحن ياصغيرتي لا أرض لنا لاتربة لنا إننا ضائعون)..

هنا الحبكة..هنا العقدة..هنا الأزمة..هنا الضياع..

بهذه القدرة والمناورة الفنية بالكلمات والاشتهاء اللفظي فقد شهدت القصة عند هذا القاص المتميز ميلادها وشهرتها وواقعيتها وحملت في طياتها جهازها المناعي الذاتي ونظام حمايتها الفطري وامتلكت لغتها الخاصة وأناقتها التعبيرية فهي لاتسقط المفاهيم الأكاديمية إسقاطاً مخيباً للآمال بل تتعامل مع المصطلحات بشيء من الحساسية اللغوية الراقية التي لاتتقولب بل تنضجها على مفاعيل هادئة وبشكل احترافي أكاديمي مهني إبداعي جميل كأنّك تعيش المشهد أو تتخيله من خلال أدواته الفنية المعتبرة وعناصر الجمال المكتملة ويصبح النص بدلالاته الحسية والروحية جهاز استشعار للواقع ولكن برسم خيالي ناضج بعيد عن الغلو والشطط أو التمدد عند أعالي النص وهو بقدراته تلك يحول النص الى جسم (فرط صوتي) إذا جاز لنا التعبير يتجاوز الاحساس السطحي إلى ماوراء ذلك للوصول إلى الهدف بكل حرفية ومهارة واقتدار فيرشقنا عندها محمد عبد الولي بتشكيلات قصصية بنيوية وبأضواء كاشفة تعطينا مساحة أفضل للرؤية فهو يعود لاكتشاف نفسه واكتشاف الأحداث والأشخاص ويعيد خلقها وانتشالها من واقعها السيئ كما فعل في قصة (يموتون غرباء) ولكن بسلاسة معرفية وقدرة استنطاقية للحالات الإنسانية فهو يقترب منها ليزيل عنها الحرج من خلال العيش بداخلها وترجمة مشاعرها واحساسها والدخول بنا الى عالمه الخاص برؤية مستبطنة للإنسان وواقع شفاف ينساب الينا بصور ومشاهد على نحو من الحداثة والتجريب ومن موقف ثابت ثري تجد فيه الخيال مع الواقع في تلازمية متوائمة وفعل أدبي راق ليستفز ملكاتنا نحو تجويد متقن لقرآءة نصوصه على نحو أفضل فهو يجمع مترادفات الحياة وتناقضاتها ومتولياتها ومشاهداتها الحسية والروحية ليشحن فينا مواقف إيجابية وهذا هو الهدف الأسمى للواقعية فهي ليست هروبا من الخيال أو عجز عن التنميق والتزيين والترصيع بكل المحسنات البديعية والمهارات البلاغية ولكن نحن أمام نص معبأ بكل المشاعر الإنسانية المتناقضة التي تحمل وجعها وألمها وغربتها وقسوة الحياة خارج الوطن وكأننا أمام سيناريو حُبكت لقطاته في مشاهد درامية تراجيدية..

وقد قال عنها د.إبراهيم أبو طالب(هي الأكثر نضجاً وتأسيساً)..

سرديات محمد عبد الولي ليست من باب إستدرار العواطف لأن ذلك وقتي وظرفي بل أنه يُحمّل الكلمات حملها الأيقوني ويدفع شحناتها نحو إطارات الحياة المختلفة لتكون لسان حاله ومراد قصده وسلسلة التزاماته

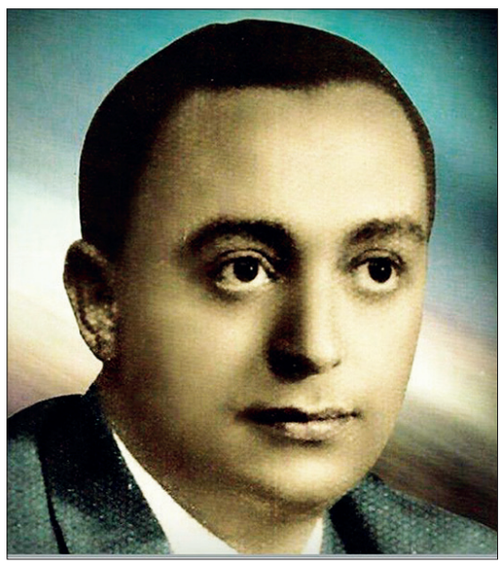

الروحية وشغفه نحو خلق مبررات وجوده الانساني وأثره في المنظومة الفكرية والأدبية وصولاً لتأسيس نظريته الخاصة للادب والقصة بشكل خاص..

وفي (يموتون غرباء) نجد تلك العقدة التي نشأت من الاغتراب عن الوطن فكان الإحساس عميقاً لكنه كان مفتاح الجودة في الاقتراب بعمق روائي أفضل ولربما نجد المرأة هنا معادلا موضوعيا للحرمان فعبد الولي ينتصر لها وللأرض والإنسان من حيث هو كائن حي فيقدم بانوراما وصفية للرغبة والخوف واللذة والألم لكنه بتأطير غير مفتعل فيضع الشخوص خاصة طائتو بطلة القصة تلك المرأة المهمشة بقالب إنساني يرتفع بالأحداث وفقاً لمتولياتها المشبعة بالجراح النازفة وما اختزنت به ذاكرته فهو يقدمها هنا كرمز مكثف لحالات الاستلاب الاجتماعي والنظرة الدونية لبعض الفئات فهي تعيش حالة انسحاق طبقي في مجتمع يتحكم فيه ثالوث التخلف والرجعية والتقاليد العتيقة فتصبح اللذة هنا معياراً للتنفيس وإطلاق بالونات تعزز فيه حريتها فقد استطاع محمد عبد الولي أن يعيد نفخ تأملاته في روحها لينسخ منها نسخة جديدة تبرز فيها قدرات تلك المهمشة وتصبح مشروعَ حياة قابلاً للتمدد والاتساق مع إنسانيتها لمواجهة واقعها غير المتجانس وهو بذلك إنما يعكس روحه ومايريده للوطن من عودة الروح إليه ليتحرر من حالة التبعية ومن نفس الثالوث المتخلف.

ليس بالضرورة أن تنتهي القصة بالفرح فالبداية هي التي صنعت النهاية..

لم يكمل عبد الولي مشروعه لأنه ببساطة فقد مات بطله عبد سعيد قبل أن يبلغ المنى لكن القاص الأديب محمد عبد الولي استعرض بذكاء ملامح مأساة المغترب اليمني وخاصة المولودين منهم الذين يجترحون الألم ويعيشون نكبتهم النفسية على نحو أمرّ من العلقم..

ولهذا يقول أدوارد سعيد (لقد ساهم كون الكاتب مولوداً من أب يمني وأم أثيوبية في نقل صورة واقعية عن هذين العالمين دون تزييف)..

نستطيع التأكيد أنّ الأديب الروائي محمد عبدالولي قد أكمل مشروعة في الحياة وبشّر به في عدد من أدبياته وأعماله منها (الأرض ياسلمى) و(شيء اسمه الحنين) و(عمنا صالح) و(صنعاء مدينة مفتوحة) وتعامل مع الرمز في بعض منها برؤية فنية ولغوية وجمالية التقط فيه معطيات الواقع وقدّم تصوراته المنحازة للفقراء على نحو متوازن ومتسق مع مبادئه وقيمه وثقافته وتجربته الحياتية..

الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر عبده عثمان محمد

ولد عبد عثمان عام 1936م في منطقة الزبيرة - قدس بمحافظة تعز؛ إذ قرأ القرآن ثم التحق بمدرسة بازرعة في عدن حيث درس الابتدائية وجزءًا من الثانوية قبل مغادرته إلى القاهرة وإنهائه الثانوية والتحاقه بكلية دار العلوم في القاهرة التي انصرف عنها ليلتحق بمعهد الدراسات العربية، سافر بعدها إلى مدينة لايبزج بألمانيا لإكمال دراساته، كما درس في كلية الحقوق بجامعة بغداد، وبعد عودته إلى اليمن عمل في أحد البرامج التي كانت تذاع قبل الثورة، أما بعد الثورة فعمل مستشارًا ومعلقا سياسيا في إذاعة صنعاء عام 1962م، ثم مديرا لمكتب الخارجية في مدينة تعز. غادر بعد ذلك إلى أمريكا حيث حصل على منحة للدراسة في جامعة Pittsburgh عام 1965، وحصل على دبلوم في الإدارة العامة، ثم عين أول وزير لشؤون الوحدة عام 1967م.

تنقل عبده عثمان سفيرا بين عدة دول: أديس أبابا، الصين، بغداد، موسكو، ألمانيا. وكان عميدًا للسلك الدبلوماسي العربي والأجنبي في الصين لأكثر من خمس سنوات، وقد عاد إلى أرض الوطن عام 1997، وأصبح عضوا في مجلس الشورى، لينتقل إلى رحمة الله في الثاني عشر من يونيو 2017م في القاهرة.

لم يكن عبده عثمان فاعلا شعريًا، كما سبقت الإشارة وهو ما سنأتي عليه ، بوصفه أحد الذين انتقلوا بالقصيدة العربية من العمود إلى التفعيلة فحسب، بل هو واحد من الثوار، ورواد التحديث على كل المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية وهو يحسب زمنيًا، ومن جانب الأدوار الوطنية اليمنية الأولى على حركة الطلبة اليمنيين بمصر الحركة صاحبة التأثير الكبير على شكل السياسة والحياة اليمنية بعد ذلك، وقد تمثلت البنية المؤسسية لهذه الحركة في ما عرف بـ"رابطة الطلاب اليمنيين"، مصر، وتشكلت بنيتها التنظيمية من شكلين رئيسين: الأول عبارة عن تنظيم نقابي لرعاية مصالح الطلاب واتخذ شكل رابطة الطلاب اليمنيين وإلى جانب ذلك كان هناك الهيكل السياسي للحركة المتمثل في مؤتمر الطلاب اليمنيين الدائم" ولجنة تنفيذية لمتابعة النشاط وتنفيذ القرارات".

جاء عبده عثمان من اليمن إلى مصر لينظم إلى بعثة المملكة المتوكلية المنقولة من لبنان بعثة الأربعين"، بعد مقتل الإمام يحيى 1948م، ولجوء الفضيل الورتلاني الجزائري الجنسية إلى لبنان.

سافو .. أول شاعرة في تاريخ الأدب الإنساني

محمد المصطفى

تفرد..

في تاريخ الإنسانية لم يعرف الأدب العالمي شاعرة أخرى قبلها، هي الشاعرة اليونانية (سافو- sappho)، إذ لم تلحق بها شاعرة إلا بعد وفاتها بمئات السنين، عاشت في الفترة بين 610 و 560 قبل الميلاد، واشتهرت بالتعبير الحار عن الحب في صورته السامية، قامت بفتح أول مدرسة عرفها التاريخ، لتعليم الفتيات فنونا مختلفة منها الشعر والسلوك المهذب والموسيقى والرقص، وكانت فيها المدرسة الوحيدة.

لم يمنعها اهتمامها بعاطفة الحب من أن تكون صاحبة مشاركة في الحياة العامة وكان لها نشاط سياسي مؤثر، عرضها للنفي مرتين الأولى وهي في التاسعة عشرة والثانية وهي في الحادية والعشرين. بقي من أشعارها القليل، ولمصر فضل في ذلك، ففي عام 1897 وجد الباحثون في بعض توابيت الفيوم، التي تحوي الأوراق، عددا من قصائدها المعروفة للآن.

اهتمام..

«كانت سافو امرأة فذة عجيبة، لأني لا أعرف أنه قد وجدت في جميع العصور التي وصل إلينا علمها امرأة أوتيت معشار ما أوتيت من النبوغ في فن الشعر»، هذا ما نقله (يول ديورانت) في المجلد الثاني من كتابه «قصة الحضارة» عن المؤرخ اليوناني الكبير (سترابون)، أما ديورانت فيقول عنها «إن الأقدمين إذا ذكروا لفظ الشاعر فإنهم يعنون (هوميروس)، كذلك لفظ الشاعرة يعنى به سافو»، وقد شهد عصرها، والعصور التالية لها في تاريخ اليونان اهتماما بإنتاجها الأدبي، إذ كانت تلحن أشعارها وتغنيها، وأضافت للأوزان الشعرية المعروفة في عصرها الوزن السافوني المعروف للآن، وكان (صولون) وهو واحد من المشرعين الأوائل، وحاكم أثينا يقول عنها «أتمنى أن أحفظ شعر سافو قبل أن أموت» أي أنه اعتبر شعرها قمة السعادة، وفيما كان (سقراط) أعظم الفلاسفة يسميها (الجميلة)، وكان (أفلاطون) أنبغ تلاميذ سقراط يهتم بأشعارها أيضا ويقدرها.

أسطورة..

«إن ربات الشعر تسع.. ألا ما أعظم غباءهم، فليعلموا أن سافو ابنة مدينة لسبوس هي العاشرة» هذا ما قاله عنها (سقراط)، حيث اعتبرها إحدى ربات الشعر، وهو ما أدى بالبعض إلى اعتبار سافو أسطورة يونانية، ونظرا لما يكتنف حياتها من غموض، كذلك أشعارها التي روي أن الكنيسة أحرقتها، وما نطالعه في قصائدها حين تصور تلميذاتها وصيفات الآلهة المتوجات بأكاليل من الورود، كذلك القيثارة التي صممتها لتصاحبها عندما تغني قصائدها بين الناس، أما ما صورها للناس في العصور التالية كأسطورة، فهو محاولات الرسامين لتناولها في لوحاتهم، حيث ظهرت من خلالها كأسطورة يونانية، بالإضافة إلى أشعارها الباقية التي لا تزيد عن ألف بيت.

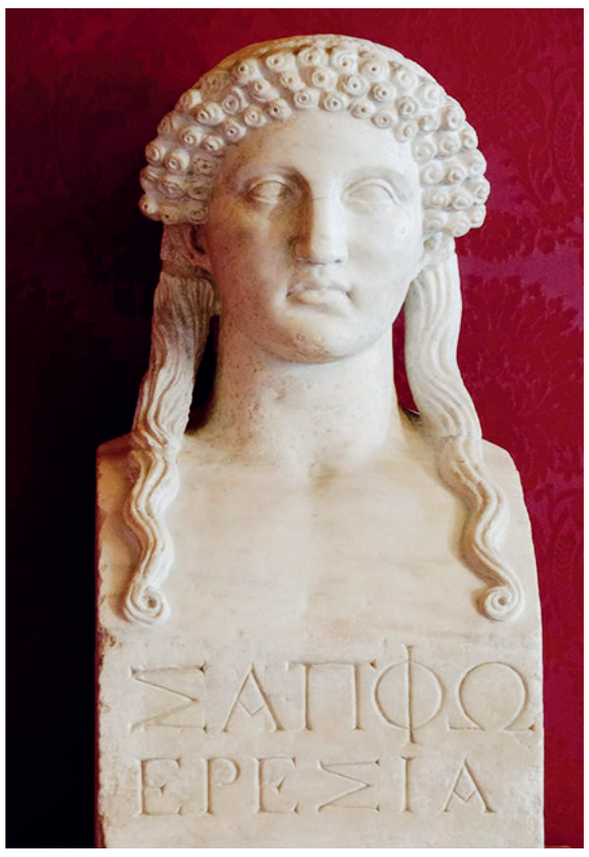

انتحار..

رغم أن الحضارة الإنسانية عرفت شاعرات كثيرات، إلا أن سافو ظلت ألمع اسم في تاريخ الأدب النسائي - ولم تكن أسطورة-، تناقلت الروايات ما يذكر موتها منتحرة بسبب أزمة عاطفية، وقيل أنها أحبت بحارا يدعى (فايون) وحالت الظروف دون إتمام الزواج. ويصدق البعض هذه الروايات ويرفض البعض الآخر ذلك، وبقيت شخصيتها تحمل بعض التفرد الذي أدى بالحاقدين عليها إلى القيام بمحاولات لتشويهها، ولكن تاريخنا الإنساني خلدها أيضا كشاعرة حساسة محبة ومقدرة للجمال.

من أشعارها

عندي طفلة جميلة..
شبيهة بالورود الذهبية..
«كلايس».. هو اسمها..
وهي كل شيء بالنسبة لي..
كل شيء
ولا أبدلها بثروة «ليديا» الفاتنة..
ولا «لسبوس» الرائعة الجمال..
فيما إذا خيرت بينها.. وبينهما..!
إنها كل شيء بالنسبة لي..
وستبقى كل شيء على الدوام..!

من قصيدتها لـ فايون

إذا كان القدر قد حرمني من جمال الجسد..
وطول القامة..
وبياض البشرة..
يا حبيبي.. البحار الجميل «فايون»..
فإن نبوغي في الشعر يعوضني عن هذه العيوب جميعا..
وإذا بدا لك أن قوامي ضئيل..
أو أنني أحمل مقياس اسمي الصغير..
فلا تنظر إلي نظرة الاحتقار..
ذلك أنني حقا ضئيلة الحجم..
سمراءُ البشرة..
قصيرةُ القامة...
متوسطة الجمال..
إلا أنني أتقن فن الحب..
أيما إتقان..

نص

زحف الكرامة..
من أكتوبر وصولاً إلى نوفمبر

كمال محمود علي اليماني

من قمة في أرض ردفان البطولة والكرامةْ
كانت بدايةُ زحفهم
كان اشتعالاً للفتيل مؤججاً روح الكفاحْ
وهناك في الآفاق.. في أمد بعيد
قد تبدى نورُ فجر في ضياءاتِ الصباحْ
كانت الأنظارُ تهفو
ترقبُ الآتي اشتياقا
لاحت الآمالُ تترى
وانبثاقُ الفجر .. لاحْ
ثم في عدن العَصية هبَّ شبانٌ ولبّوا
صوتَ ناقوس الجهَادْ
وانبرى الأحرارُ سُمراً لايهابون الرصاصَ
تدفقوا سيلاً تجمع من غمامات البلادْ
كلِّ البلادْ
سكبوا الدماءَ رخيصةً في حبها
فوق الجبال .. وفي الشوارعِ
والأزقة .. والوهادْ
قالوا لَقبطان تجرأ ليلةً
عُد يا عدو الله .. عُد
وبعزمهم وكفاحهم ولّى بخزيٍّ طافحٍ
ذلا ، وعادَ منكّساً رأساً
لأرض جدوده بالخزيِّ عادْ
والشَمسُ في الأفقِ الوضيءِ تبسمت
جذلانةً
ماعادَ من مستعمرٍ
ماتَ الدجي
والنورُ رفرف فوق هاماتِ الذرى
رغم المآسي والجراحْ
طارت حمائمُ فرحنا تستقبلُ الأضواءَ في
ألق الصباحْ
والعطرُ فاحْ
ماتَ الدجى
والنورُ عمَّ مهللاً .. ومكبّراً
النورُ لاحْ
النورُ لاحْ.

قصص قصيرة

كتب / محمود المداوي

١) صرخة...

يمضي يومه الجديد وهو يتغنى همسا في الخفاء بـ(ربيع الثورة) _التي بدأت_ ولما انتصرت أراد أن يغني انتصار ربيعها جهرا...وبأعلى صوت.. شرع يغني وماهي إلا آه واحدة ثم أمسك فجأة...

تلفت يمينا وجد نفسه مراقبا..تلفت يسارا وجد صوته مراقبا..لم يبق له إلا داخله..حسم أمره وأمعن التحديق في داخله وجد وطنه مراقبا.. غالب حصاره ، واطلق من داخله صرخة المغدور به:

- آه...لقد سرقتم ربيعنا أيها اللصوص!.

٢) خواء...

لأنه ولد حرا تخلص من محموله _كما حدثته نفسه_ ولما احس بخواء مهول في علاقته بذاته وبالآخرين و... هنا أيقن ان محموله هو الذي تحرر منه.. وأخيرا سلم بفداحة الخواء الماكن فيه حتى الثمالة.

٣) تحدٍّ...

تلقف سمعها الثقيل ما نادى به منادي «الموت الأسود» في بلدتها محذرا خروج النساء إلى الشارع هذا اليوم ، ولما كان هذا هو وقت خروجها الروتيني أصابتها رجفة اهتزت لها، وبنظرة مترعة بالحسرة رمقت بضاعتها التي أمامها..كادت تبكي....

غالبت حزنها وهي تنظر إلى الباب وما وراءه تذكرت أن العيد قادم رمقت صغيراتها الثلاث ، وبإيماءة منها لهن حملن «الجعاب» بما فيها على رؤوسهن منكوشة الشعر والمغبرة .. وتقدمتهن وهي تحمل «الجعبة» الرابعة .. فتحت الباب لتجد نفسها وصغيراتها في قلب الشارع المحترب.. وراحت تنشد نشيد الحياة متحدية «الموت الأسود»المزعوم وبصوت يشق إذن كل من به صمم و. . .تنادي:

__ الكدر ..كدر حامي

وأخذت صغيراتها يرددن وراءها بذات الحماسة والتحدي ، وفي شمم:

__الكدر«١»...كدر حامي!.

~~~~

هامش: «١» الكدر «بكسر حرف الكاف» هو نوع من أنواع الخبز في لحج وما جاورها.
~~~~